

منشىء المجلة
انطون الجميّل

المدير المسؤول
امين تقي الدّين

الجزء العاشر — فبراير (شباط) ١٩١٢ — السنة الثانية

حلم ويقظة

﴿ أمس واليوم ﴾

ريع العالم المالي في هذه الربوع من كثرة التفاليس في المدة الاخيرة، واشتد العسر على الاهالي، واصبحت الصحف تروّعنا كل يوم بسقوط محلات تجارية كنا نتوهمها قائمة على أمتن الاسس، فاذا هي غير قادرة على الثبوت أمام آخر عاصفة هبت من عواصف الازمة المالية

اذا صح ان يقال « ان التاريخ يعيد نفسه » فليس من بلادٍ تنطبق عليها هذه الحقيقة المبنية على الاستقراء اكثر من القطر المصري . فانك اذا تصفحت تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة والبطالسة حتى يومنا هذا، تكاد تجده إعادة دائمة ومراجعة مستمرة

الاسماء تتغير، والاشخاص تتبدل، لكنهم دائماً يمثلون الحوادث نفسها، فيلعب كل منهم دوراً واحداً في مظهر واحد . هناك بعض

تفاصيل خارجية وأحوال عرضية تختلف ، لكن الجوهر واحد يكاد لا يمسه تغيير ولا يطرأ عليهِ تبديل

ترى مصر تارة خصبة غنية ، وطوراً قاحطة فقيرة . تجدها آناً اهراء العالم يقصدها الاجنبي من كل صوب وحدب . وتلفيها آونة خالية خاوية تضيق بمن أظلته سماؤها ورواه ماؤها . فهي كالماء القراح يتلوّن بلون الوعاء الذي يكون فيه ، ان صافياً فصافٍ ، وان كدراً فكدر . وهو على تينك الحالتين هو ، لم يفقد شيئاً من عذوبته ولذته ونفعه ، يروي من قصده ، ويبرد غليل من ورده . والسبب في تغير ظاهره انما هو راجع الى امور عرضية لا تؤثر في الجوهر

وهذه التقلبات الطارئة على مصر من رخاء وشدة ، وغنى واحتياج ، اكبر دليل وأصدق برهان على جودة هذه الربوع وكرمها ، اذا حسن تدبير شؤونها ، وصلحت ادارة احوالها

رقيت مصر في السنين الخالية الى اوج الغنى : اتسعت ثروتها كل اتساع ، وراجت اشغالها ايّ رواج ، حتى جارت في هذا الميدان اغنى بلاد الله قاطبة . وقد استمرت الحالة على هذا المنوال حتى ولدت المضاربات ذلك الاعصار الهائل الذي صير العمار دماراً ، والنضار رماداً

* * *

جاء في الفصل الحادي والاربعين من سفر التكوين : « قال فرعون ليوسف : رأيت كأني واقف على شاطىء نهر ، وكأن قد صعد منهُ سبع بقرات سمان الأبدان حسان الصوَر فارتعت في المرج . واذا سبع بقراتٍ

أُخر قد صعدنَ وراءها عجافاً قباحَ الهيئات جداً دقاق الأبدان لم أرَ مثلها في أرض مصر في القبح . فأكلت البقراتُ العجافُ القباحُ السبعَ البقراتِ الأول السمان . . ثم رأيت في حلمي كأن سبع سنابل قد نبتت في ساقٍ واحدة ممتلئة حساناً ، وكأن سبع سنابل جافة دقاقاً قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها فابتلعت السنابلُ الدقاق السنابلَ الحسان. فقال يوسف لفرعون : إن الله مكاشفٌ فرعون بما هو صانعه . سيأتيكم سبع سنين فيها شبعٌ عظيم في جميع ارض مصر ، ويأتيكم بعدها سبع سني جوع فيُنسى جميع الشبع الذي كان في أرض مصر ويُتلف الجوع الأرض ، ولا يتبين أثر ذلك الشبع في الارض من قِبل الجوع الآتي عقبه لانهُ شديد جداً . . فليجمع كل طعام سني الخير الآتيـة وليخزنْ بُرَّها تحت يد فرعون طعاماً ، فيكون الطعام ذخيرة لسبع سني الجوع فلا ينقرض أهل الأرض بالمجاعة . . . »

ألا يخيل الى القارئ عند تلاوة هذه الصفحة من تاريخ مصر القديم انه يطالع تاريخها في هذه المدة . رأت مصر سني الشبع العظيم في جميع أرضها ، ثم زحفت عليها سنو الجوع فأنستها رخاءها وغناها . قام من أنذرها بمجيء العسر بعد اليسر ، وإدبار الأيام بعد الاقبال ، لكن صوت المرشد لم يقع في آذان مصغية ، بل كان بعض القوم من اكبر العاملين على جر سني الجوع ، بل هم الذين غلّوا البقرات الحسان وكبلوها ووضعوها بين فكي البقرات القباح لتفتك بها . هم جعلوا مخدّراً قوياً في الكأس التي رشفتها البلاد فزادوا في سكرتها، ولما أفاقت من سباتها العميق كانت

يقظتها هائلة مروّعة . وكان هذا البعض أول من ذهب ضحية هذا الحلم فعسى ان تكون هذه آخر صاعقة تنقض على البلاد فيعقبها شروق الشمس. وتعود مصر الى الرخاء والصفاء

محادثة شبح [1]

عن اصل الحروف الهجائية

كنت اكتب منذ زمان طويل في سكون الليل وكان المنور (غطاء القنديل) يرسل على المنضدة ضوء القنديل ويبقي الظلام منتشراً على الكتب الموضوعة على طبقات تعلو الواحدة منها الاخرى في جهات الغرفة الاربع . وكانت النار الموشكة أن تنطفئ تبدو خلال الرماد كأنها شذرات من الياقوت. وكان دخان التبغ المهيج يمتزج بهواء الغرفة ويزيده تكثفاً وامامي لفافة من التبغ في قدح على كومةٍ من الرماد يرتفع دخانها اللطيف الازرق ارتفاعاً عمودياً . وكان شكل الظلمة في تلك الغرفة سرياً لأن الجالس فيها يشعر شعوراً مبهماً بروح تلك الكتب الملقاة في موضعها وقد سكن قلمي بين اناملي كأنَّ النعاس قد عبث باعطافه فجعلت اعمل الروية في امور قديمة العهد واذا بشخص غريب برز من دخان لفافتي كما يبرز من دخان العشب السحري . وكان شعره متجعداً ، وعيناه

(١) من وضع أناطول فرانس الكاتب الفرنساوي المشهور وتعريب الياس أفندي طنوس الحويّك الكاتب المجيد

نجلاوين براقتين، وانفه اقنى، وشفتاه غليظيين، ولحيته سوداء متجعدة على الزي الأشوري، ولونهُ نحاسياً فاتحاً ، وقد طبعت على محياه علائم الدهاء والميل مع الهوى ميلاً عنيفاً ، ودلّ شكل جسمه الربعة القامـة ولباسه الفاخر على انهُ من اولئك الاسيويين الذين كان الاغريقيون يطلقون عليهم اسم بربر . وكان لابساً على رأسهِ قبعة زرقاء مصنوعة على شكل سمكة ترصعها النجوم ، ومرتدياً ثوباً ارجوانياً موشىً بصور الحيوانات وحاملاً باحدى يديهِ مجذافاً وبالاخرى ادراجاً . فلم اضطرب عند رؤيته لاعتقادي ان ظهور الاشباح العديدة في المكاتب أمرٌ طبيعي . ألا تظهر اشباح الموتى في العلامات التي تحفظ ذكرها ؟ ودعوت الغريب الى القعود فنبذ دعوتي وقال :

ارجو منك أن تدعني وشأني ولا تعتبرني حاضراً في هذا المكان فلقد اتيتك لأنظر ما تكتبه على هذا الورق العاطل لأني أسرُّ بذلك . واعلم ان الافكار التي تعبّر عنها عليه لا تهمني البتة وانما يهمني جداً منظر الحروف التي ترقمها عليه فانا اعرفها وان يكن قد درج على استعمالها ثمانية وعشرون قرناً وطرأ عليها تغيرٌ ذو بال . وانا اعرف هذه الباء التي كانت في ايامي تدعى « بيت » ومعناها بيت او منزل وهذه اللام التي كنا نسميها « لامد » لمشابهة شكلها لشكل الحمة . وهذه الجيم مشتقة من الحرف الذي كان يقال له « جمل » في حروفنا الهجائية ومعناه عنق البعير . وهذه الالف مشتقة من الفنا وهي على شكل رأس الثور . واما الدال التي اشاهدها امامي فانها على مثال « دالث » المأخوذة عنها تمثل تماماً

شكل مدخلٍ مثلث الزوايا لخيمة مضروبة في رمال الصحراء ان انت لم تجعل محيط تلك العلامة الدالة على عيشة البدو القديمة مستديراً برسمك خطاًمنحنياً . لقد غيرتم «الدالث» وسائر حروفي الهجائية ولكنني لا انحي عليكم باللائمة على ذلك لانكم لم تفعلوه الاَّ حباًّ بالايجاز والاسراع لاعتباركم قيمة الوقت فليس الوقت سوى التبر والعاج وريش النعام . ان الحياة قصيرة ولذلك يقضى على المرء أن يزاول التجارة ويركب مركب الاسفار دونَ أن يضيع دقيقة واحدة ليتسنى له أن يصيب الثروة ويصل الى حد الشيخوخة وهو رائعٌ في بحبوحة الهناء ونائلٌ نصيبه من الاحترام

فقلت له : يا سيدي يبين لي عند رؤيتي اياك وسماعي كلامك انك من اولئك الفينيقيين القدماء

فاكتفى بان يجاوبني قائلاً : انا قدموس او شبح قدموس

فقلت له : بناءً عليه انك لست موجوداً وجوداً حقيقياً فانت اختلاقي ورمزي وان تصديق كل ما قاله الاغريقيون عنك يعدُّ من رابع المستحيلات فهم يروون انك بطشت على عدوة ينبوع آريس بتنين كان يقذف النيران من شدقيه، وانك قلعت اسنان ذلك الوحش وغرستها في الارض فتحوَّلت بشراً . ان هذه الرواية من باب الاساطير وانت يا سيدي شخص مختلق

من المحتمل أن اكون قد صرت كما تقول مع تعاقب الاجيال وان يكون اولئك الاولاد الكبار الذين تسميهم اغريقيين قد قرنوا بذكري روايات ملفقة . اني اظن ذلك الأمر ولكنني لا اكترث لهُ ولا اهتم بما

اعتقد بي الناس بعـد موتي . فمخاوفي وآمالي لم تـكن لتمتدَّ الى ما وراء هذه الحياة التي يتنعم بها الناس على الارض والتي افهمها الآن دون سواها ، ولا اسمّي حياةً الطواف كشبحٍ في غبار المكاتب، والظهور بشكلٍ مبهم للمسيو ارنست ريتان او للمسيو فيليب برجه فخالة الشبحية هـذه تزيد كآبتي لأني قضيت في الدنيا حياةً سداها النشاط ولحمتها تميم الواجبات ولم اكن ألهو بغرس اسنـان الافاعي في الحقول البيوسيانية اللهمَّ ما لم تـكن تلك الاسنان عبارة عن البغض والحسد اللذين غرسهما غناي وقوتي في نفس رعاة سيترون . وقد انفقت ايامي في الاسفار ومخرت في جميع اللجج وانتجعت جميع الامصار وانا راكب متن سفينتي السوداء الموضوع على جؤجؤها مسخٌ احمر هائل يحرس كنوزي ويرصد الكبيرات السبع المجوّلات في الفضاء بزورقهنَّ اللامع ويهديني بتلك النجمة الثابتة التي كان الاغريقيون يسمونها الفينيقية اكراماً لي . وقد انطلقت للاتيان بالذهب من «الـكلشيد» والفولاذ من «الشاليب» واللآلئ من «اوفير» والفضة من «طارطس» واخذت من «البيتيك» الحديد والرصاص وسلفور الزئبق والعسل والشمع والزفت واجتزت حدود الدنيا وتوغلت في غمام المحيط حتى انتهيت الى جزيرة البريطانيين القاتمة وعدت منهـا شيخاً بيّض الدهر لمتّهُ ومعي مقادير وفيرة من القصدير الذي ابتاعه مني المصريون واليونانيون والايطاليون بمبالغ من النضار توازي زنته زنتها . وكان البحر المتوسط في ذلك الحين يعتبر بحيرة لي فشيدت على سواحله المهجورة مئات من المحلات التجارية . ولم تـكن «طيبة» تلك المدينة المشهورة سوى

منيع أخزن فيه ما كان لديَّ من الذهب وقد لقيت في بلاد اليونان قوماً متسكعين في دياجي الهمجية ، مسلحين بقرون الوعل والحجارة المحددة فاعطيتهم النحاس وكان انهم عرفوا بفضلي جميع الفنون

وكان يظهر في عينيه وفي كلامه قسوة جارحة فاجبته بكلام خالٍ من الحب :

انك كنت تاجراً موصوفاً بالنشاط والذكاء ولكنك لم تكن تحجم عن اتيان المنكر وكنت تتصرف عند سنوح الفرصة تصرف قرصان حقيقي . وحين كنت تنزل الى البر في ساحلٍ من سواحل اليونان او في جزيرةٍ من الجزائر كنت تعمد الى بسط ادوات الزينة والمنسوجات الثمينة على اليابسة ، وحين كانت فتيات تلك الانحاء ينجذبنَ انجذاباً لا يقوينَ على دفعه ويأتينَ وحدهنَّ بغير معرفة والديهنَّ لرؤية تلك السلع كأن بحارتك يخطفون اولئك العذارى اللواتي كنَّ على غير جدوى يطبّقنَ الفضاء باصوات الاستغاثة ويولونَ منتحبات ويلقونهنَّ مكتوفات مذعورات في قعر سفائنك واكلين حراستهنَّ الى ذلك المسخ الاحمر . ألم تسبِ أنت وذووك « إيو » الصبية ابنة ايناخوس الملك لتبيعوها في مصر ؟

-- من المحتمل ان يكون هذا الامر قد جرى فان ايناخوس الملك هذا كان زعيم قبيلة صغيرة من البربر وكانت ابنته بيضاء البشرة ذات لطف ورواء ولا يخفى ان العلاقات بين القوم الهائمين على وجوههم في مجاهل الهمجية، والقوم المستنيرين بمشكاة التمدن هي هي عينها في كل زمان

— حسناً قلت ولكن الفينيقيين ذويك قد ارتكبوا في العالم سرقات لم يسمع بمثلها فانهم لم يحجموا عن سرقة الدياميس ونهب المدافن المصرية ليزينوا جبانات « جبيل » بما يعثرون عليهِ فيها

— بعيشك يا سيدي قل لي أمثلك يعنف انساناً أكل الدهر عليه وشرب كان « صوفوكل » يسميه قدموس العتيق ؟ لقد نسيت اني اكبر منك بثمانية وعشرين قرناً قبل ان يمضي علينا اكثر من خمس دقائق ونحن نتحدث في غرفتك . فاعلم يا سيدي العزيز اني رجلٌ كنعانيٌّ عتيق فلا ينبغي لك أن تشدد عليَّ النكير من جراء بعض صناديق من الموميات وبعض فتيات همجيات مسبيات من مصر او من بلاد اليونان وقد كان الأشبه بك أن تعجب بقوة ذكائي ومحاسن صناعتي . لقد حدثتك عن سفائني واستطيع أن اريك قوافلي شاخصةً الى اليمن للإتيان بالبخور والمرّ والى حاران للمجيء بالحجارة الكريمة والبهارات والى الحبشة لجلب العاج والابنوس ، ولم تقف همتي عند هذا الحد من المتاجرة والمقايضة بل كنت صاحب معامل معروفاً بالحنكة في زمن كان في اثنائه العالم المحدق بي غارقاً في لجة الهمجية. وكنت بصفة كوني من علماء المعادن والصباغين والزجاجين والصاغة استعين بما أوتيتهُ من الدهاء على مزاولة فنون النار هذه الغريبة الى حدٍ يجعل المرء يخالها سحرية . انظر الى الكؤوس التي نقشتها وتعجب مما للجوهري الكنعاني العتيق من الذوق السليم . ولم تكن خبرتي في المسائل الزراعية مما يستهان بهِ فاني صيرت تلك الارض الضيقة المحصورة بين لبنان والبحر جنة خضراء ولا تزال آثار الاحواض

التي بنيتها فيها قائمة حتى يومنا هذا . وقد قال احد علمائكم : « ان الكنعاني دون سواد يقدر أن يبني معاصر خالدة » اعرف قدموس العتيق حق المعرفة واعلم اني انتقلت بشعوب البحر المتوسط من العصر الحجري الى العصر النحاسي وقد علّمت الاغريقيين مبادئ جميع الفنون واعطيتهم بدلاً من الحنطة والخمرة وجلود الحيوانات التي جاؤوني بها كؤساً يتعانق عليها الحمام ودمى من الخزف ومنذ ذلك الحين نشطوا الى نسخها وترتيبها على ذوقهم . وفي آخر الأمر اعطيتهم حروفاً هجائية لم يقدروا بدونها أن يحددوا ويحصروا افكارهم التي تخلب لبك . هذا ما فعله قدموس العتيق وهو لم يفعله حباً بالجنس البشري او رغبة في مجدٍ زائل بل حباً بالكسب والاستفادة الحقيقية الممكن لمسهما باليد . وقد فعله املاً بحشد الثروة وطمعاً بشرب الخمر في شيخوخته في كؤوس من الذهب على مائدة من الفضة بين غانيات بيض الوجوه يرقصنَ رقصاً يثير الشهوات من مرابضها ويعزفنَ على القيثارة عزفاً يرنح المعاطف لأن قدموس العتيق لا يؤمن بالصلاح ولا بالفضيلة وهو يدري ان البشر اشرار وان الآلهة وهم أقوى من البشر شرٌّ منهم . وهو يخافهم ويبذل المجهود لتسكين غضبهم بالقرابين الدموية ولا يحبهم ابداً لأن الأنانية متسلطة عليه كل التسلط . وهاءنذا اصف لك ذاتي على ما انا عليه في واقع الحال واعتقد اني لو لم اجرِ وراء ملاذ الحواس القوية ما كنت قد سعيت لجمع المال واخترعت الفنون التي لا تزالون تتنعمون بها في هذا العصر . وحيث لم يكن لك يا سيدي العزيز عقلٌ كافٍ تستطيع بهِ أن تصير تاجراً وحيث

انك قد اخترت مزاولة الكتابة سالكاً فيها مسلك الاغريقيين وجب عليك أن تحترمني احترامك للآلهة لأن لي الفضل عليك بالحروف الهجائية التي تستعين بها على الكتابة ، فانا مخترعها ولا يخفى عليك اني لم ابتدعها الاَّ لترويج تجارتي دون أن يبدر الى وهمي ما سيكون لتلك الحروف من الشأن في العالم الادبي . وكان يعوزني لوضع تلك العلامات اسلوب بسيط وقريب المتناول وودت من صميم الفؤاد لو كنت استطيع اقتباسه من جيراني الذين تعودت ان آخذ عنهم كل ما لا أثني لأن مسألة الاصول لم تكن عندي أمراً يعتدُّ به . فان لغتي هي لغة الساميين ونحتي تارة بابليٌّ وتارة مصريٌّ ولو كان ثمت خطٌ جميل لكنت اكتفيت مؤونة الاختراع في هذا الموضوع ولكن لم يكن يسدُّ مسدَّ حاجاتي الخط الهيروغليفي المستعمل عند الشعوب التي تسمونها الآن حطية ولا تعرفونها ولا الخط المقدس عند المصريين فان ذينك الخطين كانا على جانب عظيم من التعقيد وكانت كتابتهما بطيئة جدًّا وهما من الخطوط التي يُفضل نقشها على جدران الهياكل والرموس على رقمها على ادراج التاجر . فالخط المصري وان يكن مختصراً ومنحنياً قد بقي له من مثاله الاصلي شيء من الثقل والارتباك والتردد لان الاسلوب بجملته كان فاسداً . وبقيت الهيروغليفية المختزلة هيروغليفية اي مبهمة ابهاماً هائلاً . وأنت تدري كيف كان المصريون يخلطون في الهيروغليفية المطولة والهيروغليفية المختصرة وبين العلامات المعبرة عن الافكار والعلامات المعبرة عن الاصوات . وأنا بفضل دهائي اخترت اثنتين وعشرين علامة من تلك العلامات

الكثيرة العدد وصنعت منها حروفي الهجائيـة الاثنين والعشرين وهي حروف اي علامات يقابل كل منها صوتاً مفرداً وتنشأ عن مجموعها الداني المنال واسطة لرسم جميع الاصوات رسماً مدققاً . ألم يكن عملي هذا معدوداً من باب البراعة والتفنن ؛

— أجل ان عملك كان ولا مراء معدوداً من باب البراعة والتفنن اكثر مما تتوهمه فيقضى علينا والحالة هذه ان نقدم لك هدية كبيرة القيمة لأنه بغير الحروف الهجائية لا يوجد علامات مضبوطة تعبّر عن الكلام ولا انشاء ولا تعبير عن أفكار دقيقة ولا تجريد ولا فلسفة سامية المعاني . فالتصوّر بانّ « پاسكال » كتب سفره المعنون باسم (بروڤنسيال) بحروف مسمارية لا يقلُ استهجاناً عن التصور بان تمثال « زوس الاولمبي » نحتته فقمة . فالحروف الهجائية الفينيقية التي اخترعت لاجل مسك الدفاتر في التجارة اصبحت في المعمورة كلها اداةً للفكر تامةً لا يستغنى عنهـا وان تاريخ ما طرأ عليهـا من التغيير مرتبطٌ ارتباطاً متيناً بتاريخ العقل البشري وتقدمه وان اختراعك وان لم يكن كاملاً يعتبر آيةً في الجمال وعظيم القيمة فانت لم تخطر على بالك الحروف الصوتيـة التي اخترعها الاغريقيون البارعون المتفننون الذين قسم لهم في هـذا العالم ان يبلغوا بكل شيء الى درجة الكمال

— اني اقتبست عادة سيئة وهي ان اخلط الحروف الصوتية بالحروف الساكنة . ألم تلاحظ هذا المساء ان قدموس العتيق يتكلم قليلاً من حلقه؟

— اني اصفح له عن هذا الأمر واغضي الطرف ايضاً عن سببه « إيو »

العذراء لأن ايناخوس والدها كان زعيماً للبربر حاملاً صولجاناً من قرن الوعل نحتتهُ مديةٌ من الصوان واتغافل عن تعليمهِ البيوسيانيين المساكين الفضلاء الرقص الخلاعي الذي كانت الباكانات يزاولنهُ واتجاوز عن كل هفوة ارتكبها لأنه جاد على اليونان والعالم طرًّا باثمن تعويذة أعني بها الحروف الهجائية الفينيقية الاثنين والعشرين وقد اشتقت من هذه الحروف الاثنين والعشرين جميع الحروف الهجائية في الدنيا . ولا يجري في وهم الناس فكرٌ على سطح البسيطة الاَّ وتحدده وتحفظه. فمن حروفك الهجائية يا قدموس الفاضل انبثق الخطان الاغريقي والايطالي اللذان خرجت منهما جميع الخطوط الاوروباوية . ومن حروفك الهجائية ايضاً نشأت جميع الخطوط السامية من الارمنية والعبرانية الى السريانية والعربيـة وان الحروف الهجائيـة الفينيقية نفسها امٌّ للحروف الحِميَرية والحبشية وسائر الحروف الهجائيـة في اسيا الوسطى كالزند والبهلفي والحروف الهجائية الهندية المشتقة منها اللغة الدفاناغارية وجميع الحروف الهجائية في اسيا الجنوبية. فسقياً له من غنىً طائل ورعياً له من نجاح عام فلا يوجد الآن في جميع اصقاع المعمورة خطٌّ واحد غير مشتق من الخط القدموسي . وكل من يكتب كلمةً واحدة في هذه الدنيا يعترف بفضل التجار الكنعانيين الأقدمين . وهذا الفكر يجعلني اسدي لك اوفر الشكر والاحترام يا حضرة السيد قدموس ولا ادري كيف اقدّر هـذه النعمة حق قدرها بقضائك ساعة من هذا الليل في غرفتي يا بعل قدموس يا مخترع الحروف الهجائية

— يا سيدي العزيز اعتدل في اظهار حماستك واعلم اني مبتهج كل الابتهاج باختراعي هذا الطفيف . فليس في زيارتي لك ما يجعلك تفتخر متباهياً لأني صرت أتبرم تبرماً يحبب اليَّ الموت منذ الحين الذي أصبحت فيهِ شبحاً وهمياً ولم أعد أبيع قصديراً ولا تبراً ولا عاجاً واضطررت على هذه الارض التي يطأ فيها المسيو ستانلي عن بعد مواطئ قدميَّ الى التحدث من حين الى آخر مع بعض العلماء او الفضوليين الذين يهمهم أمري . والآن يخيل اليَّ اني سامع صياح الديك فاودّعك وانصح لك بان تسعى لحشد الثروة لأن الخير الوحيد في هذا العالم ملاكه الغنى والقوة

قال هذا الكلام وتوارى عن نظري وكانت ناري قد خمدت وبدأت أشعر ببرودة الليل وصداع أليم الياس الحويك

شيءٌ عن الفن

لقد عرف الانسان الفنون قبل ان عرف العلوم ، لأن مخيلته اشتغلت قبل تنبّه افكاره. المخيلة ضيف تائه على الارض وهي اقوى القوى الادبية . حركتها لا تبطل ابداً في الحياة ، بل هي كالقلب تشتغل دائماً وعملها مستمر متواصل في النوم وفي اليقظة . فيها تحفظ تذكارات الماضي وآثار ما تنقله اليها الحواس من مناظر واصوات وانغام وروائح وتأثيرات ، ومن مزيج هذه التذكارات والآثار تتكوّن اصول الفنون ، فيأتي التصوّر والابتكار عاملاً في توسيعها ، وزيادة فروعها واتقان كمالاتها

اذا انت عدت بافكارك الى تاريخ الأعصر الغابرة تجد للفن المكان الاول في عظمتها ، ولا ترى للعلوم الاَّ زاويةً حقيرة في اسفار المنشئين وتواريخ المفكرين . اما الكليات الغربية التي تأسست في القرن الحادي عشر فلم تكن تشغل الطلاّب الاّ بالشعر القديم والاحاديث الحربية وتواريخ الآداب المختصة باشهر شعوب العالم . فقد كان التلاميذ يدرسون اللغات اللاتينية ، واليونانية ، والعبرانية ، وربما العربية والآشورية ايضاً ، او غيرها من لغات الشرق القديم ، بدلاً من الطبيعيات والكيميا والهندسة . ولم يدرسوا من تآليف الأقدمين الاَّ اشعارهم وتواريخهم وفلسفتهم ، ضاربين صفحاً عما كتبه بعضهم في الرياضيات

على ان العلوم اخذت في الانتشار رويداً رويداً منذ القرن الخامس عشر . فتعددت الاكتشافات ، وزادت الارباح ، وتكاثرت المداخيل الآلية فانصرف الفكر البشري الى العلم التجاري ، وامسى الفن شهيداً تقام له هياكل العبادة في ارواح الأفراد المفكرين من البشر . فالقرن العشرون الذي ندعوه عصر المدنيـة والنور ليس الاَّ عصراً ميكانيكياً تجارياً ! . .

قال رُسكن الناقد الفني الكبير : « كل شعب يرتقي عنده الفن الى ما يقارب درجة الكمال تسقط مملكته وتتلاشى عظمته . »

لستُ ادري اذا رأيتَ في حياتك صورة رُسكن ، ايها القارئ اللبيب . اما انا فقد رأيتها ؛ وكثيراً ما انظر اليها فاحاول نتف شعر لحيته عند ما اذكر جملته هذه

اني اجهل ايَّ عاطفة دفعته الى كتابة هـذه الخاطرة القاسية ، ولست ادري كيف يفسرها لو كان حياً . ترى كيف يمكننا ان نقدر قدر المصريين لو لم تكن لدينا بقايا هيا كلهم وتماثيلهم ونقوشهم ، ونبوغ اليونان ان لم يكن بآدابهم وفنونهم ، وعظمة الرومان ان لم يكن بفلسفتهم وشعرهم ؟ ؟

واذا قابلت الشعوب الآتية بين هـذه البدائع الفنية القديمة وبين آثار اجيالنا الحاضرة ، كبرج ايفل مثلاً . . . ألا تظن انهم سيحكمون باننا ، نحن ابناء الحاضر ، سليلة ابن نوح الملعون من ابيه خلقنا كي نكون عبيد ابناء عمينا المباركين ، ابناء القرون المنصرمة ؟ . .

يقول پول بورجه احد اعضاء الاكادميا الفرنساوية « اثنان يفهمان الجمال الفنيّ : العالِم الراقي والفلاّح الساذج . وبين هاتين الطبقتين ، طبقة البشر العادية وهي كثيرة العدد ، ضيقة الفكر ، قاصرة المدارك ، باردة الروح » . ثم يأتي رُسكن ذو اللحية المنتفة قائلاً : « ان الفضيلتين اللازمتين لمحب الفن هما الحنان والصدق » . وكلاهما محق ، بل ان كلام الواحد منهما يفسر فكر الآخر .

يعني رسكن ان كل مصوّر ، او شاعر ، او موسيقي ، او نقاش يجب أن يكون سريع التأثر ، رقيق العواطف ، دقيق الملاحظة ، صادق القلب أهلاً لأن يكون ترجمان الروح ، وناقل بدائع الاحلام من عالم الاوهام الى عالم الوجود والافادة . وهو يشترط في الشاعر والمصوّر الحنان قبل الصدق لأن الحنان عاطفة طبيعية ثمينة ، واما الصدق فهو

عادة جميلة يكتسبها الانسان بالتربية الحسنة، والدرس، ومعاشرة الصالحين، ومناجاة الطبيعة . فلا تجد هاتين الفضيلتين بقوتهما العظيمة الاَّ في فؤاد العالِم المفكّر وفي فؤاد الفلاح الساذج ، والاثنان اخوان !

أجل ! لقد احتضنت روح الانسان الفنون الجميلة منذ فجر المدنية ، لكن ذلك الارتعاش الطاهر لم يعد مالكاً على قلوبنا . لقد تلاشت افكار آبائنا العظيمة وتحولت قوتهم في الابناء الى اقتدار على اختراع الآلات المتنوعة ، والجهازات الغريبة . وفي هذه وفي تلك من الاختلال بقدر ما في أجسام البشر من الاختلاط والتناقض . واما الغرض من كل هذه الاختراعات المذهلة فهو ينقسم الى قسمين : الاول خدمة احتياجات الانسان الجسدية ، والثاني ، قتله بسرعة وسهولة . . !

ولكن العلوم الراقيـة المجردة عن اطماع التجارة والارباح ، كالتي انعكف على اتقانها غليلوس ونيوتن وبسكال فنحن نضعها في صف المعارف الثانوية . . لأن حب المضاربة والمكسب يصرعنا كما تصرعنـا بهرجة الاكتشاف والاختراع

ألا تظن ان ذلك المفكر العظيم نيوتن الذي استنتج من كيفيـة سقوط التفاحة قاعدة الناموس الابدي الذي يدير حركة العوالم الهائلة — ألا تظنه ناشئاً من نبت أفضل وأجمل من نبت تكوّن فيهِ فكر مخترعي الاجراس الكهربائية ، والعجلات والفونوغرافات ؟ ألا تظن ان هذه الاختراعات الدقيقة ، الجميلة في ذاتها ، تبرهن على دناءة الفكر العصري ، وسقوط النفس البشرية من اوج الجمال الى هوة التجارة ، حيث تتطلب

معاملة الاسواق غشاً وخداعاً وسرقة وخبثاً وكذباً ؟ . .

لست أدري أمخطئة أنا ام محقة ؟ لكن هـذه الاكتشافات التي تهم الجمهور معرفتها ، لا أظنها تؤثر في ارواح الافراد كما تعمل فيها صورَ الفكر القديم وظواهره الفنيـة . ان هؤلاء الافراد يؤثرون على بلادة الترفه المكانيكي شرف العمل الروحي . فهم يظلون مدى حياتهم عبيداً لأحلام الجمال اللطيفة ، وذوي الامزجة السريعة التأثر حيث تختلط الحدة بالدعة ، والضحك بالغضب ، والسكوت بالسرور ، والتأملات بالخيالات الجميلة

مى

في جنائن الغرب

﴿ حلاَّبة جميلة ﴾

هي فتاة الريف البعيدة عن عالم الجمال الاصطناعي ، نظرة من عينيها البراقتين تغيّر وجه الناظر اليها ، هي تعرف ان نظرة الجميل خطيب صامت ينطق بمدح الفضيلة الا انها لا تبالي به ، فضائلها تؤثر السكينة على الضوضاء ، كانها تجهل ما هي عليهِ من الجمال ، وما أودع فيها الرحمن من كمال

بطانة ثوبها — اي جسمها — أجمل كثيراً من ظاهرها . لأنها وان كانت لا تلبس البز والارجوان فهي مزدانةٌ بالطهر والعفـاف — انعم به من حلَّة جميلة حاكتها يد الصانع العظيم لا يد الانسان اللئيم

هي لا تفسد جمالها ولا تبلي ثوب صحتها بالنوم الكثير . لأنها تلقنت عن امها الطبيعة ان عدم الاعتدال في النوم هو صدأ النفس ، والنفس اذا علق بها الصدأ أفناها كما يفني الحديد . فلذا هي تبكر في الصباح بكور الطائر ولا تأوى الى سريرها الا اذا حان وقت النوم

اللبن الذي تحلبه بخفة ورشاقة يزداد بياضاً ليضاهي ثوب عفافها ، ويزداد نقاوة ليضارع نقاوة قلبها مقرّ الاخلاص ومسكن الحب وقدس اقداس الجمال

سنابل الحنطة الذهبية تخرّ ساجدة وتقبل قدميها عند ما تقطفها كأنها تسلم نفسها طوعاً واختياراً لليد التي قلعتها من تربة الارض التي كانت تغذيها . انفاسها مسك وما ادراك ما المسك

نضبت يداها من ماء الشباب لكثرة العمل المطلوب منها ولكن قلبها قد اذابته نيران الشفقة على الانسانية المتخبطة في حمأة البؤس ، وتقرَّحت اجفانها من كثرة بكائها على الموت الأدبي المتسلط على بني الانسان الذين أفسدت عواطفهم المطامع الكاذبة والشهوات الشريرة

قلب فتاة الريف كالزهرة النقية التي فتحت اكمامها وسقط ندى الربيع على اوراقها ، فراحت تميل مع النسيم . تزاول اعمالها بهمة دونها الهمم ، ومع ذلك تراها آمنة مطمئنة ، كأنَّ الطهارة والاخلاص والحب ثلاثة اقانيم جُمّعت في واحد . قلبها أنقى من الثلج في بياضه ويسمو الى المجد عن السفاسف . وهنا مصدر تأثيرها . . . نظرة منها كافية لتذيب افئدة الاسود الضارية وتسكّن الوحوش الكاسرة حين غضبها وتوقف

الاجرام السماوية في حركتها ودورانها

ومتى أقدم الشتاء بلياليه الطويلة وبرده القارص جلست تدير دولاب غزلها ونطق لسانها بكل لحنٍ شجي يزيل عن النفس الحزينة ما ترزح تحته من شقاء وبؤس

كل ما تمتدُّ اليه يدها من العمل تعمله وهي قريرة العين ، مسرورة الخاطر .هي لا تعمل الاَّ خيراً لأنها جبلت على حب عمل الخير والمعروف . وهي تعرف ان العمل الشريف هو المهذّب الحقيقي لبني الانسان ، وان الكسل يتلف الانسان نفساً وجسداً فتعلم يقيناً ان تسعة اعشار رذائل العالم ومصائبه ناجمة عن كل عمل يأتيه الانسان ويتأفف منه الشرف

في آخر السنة تفيض يداها بما ملكت من كدها واجتهادها على المحتاجين . وفي ملابسها لا تختار الاَّ ثياب الحشمة والادب

اذا اعتراها داء كان طبيبها هواء حديقتها البليل ودواءها من جنيّ النحلة الحكيمة

هي لا تخشى نازلة تداهمها اذا خرجت دون رفيق لأنها لا تقصد اذية أحد بل تريد ان تردّ الشر خيراً الصاع صاعين . والحق هي ليست منفردة انما تصحبها حاشية كبيرة من ترانيم مطربة وأناشيد منعشة

هذه هي حياتها . ولا امنية لها الا ان تموت في زمن الربيع فتوضع الازهار والرياحين فوق نعشها

(عن السر توماس اوفربري) **بباوى غالى** — الخرطوم

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة السادسة

(من الاميرة اميليا غوستاف الى الامير هنري اولدنزال)

(كان الامير رودلف غوستاف ملك احدى المقاطعات الالمانية قد تزوج فى اثناء احدى سياحاته بفرنسا فتاة فرنسوية وضيعة الاصل وكتم زواجه عن الناس ثم هجر زوجته وعاد الى المانيا . وبعد زمن بلغه ان امرأته قد رزقت منه ابنة هى طريدة شريدة فى أزقة باريس . فعاد الى فرنسا وأخذ يبحث عنها الى ان وجدها بعد عناء كبير ورجع بها الى المانيا. وكان كل من يراها يقف حائراً مبهوتاً لجمالها الساحر فلم يمرّ على قدومها بضعة أيام حتى كان جمالها الرائع حديث القوم وموضوع تغزل الشعراء . ولم تكن محاسن آدابها تقل عن محاسن جمالها فقد كانت على جانب عظيم من الشمم وعزة النفس . واتفق انها رأت ابن عمها البرنس هنرى اولدنزال فاحبته وأحبها حباً مبرحاً . ولكن تاريخها الماضى كان فى نظرها لطخة سوداء فلم تشأ ان تصمَ بها حياة ابن عمها . ففضلت الترهب حباً به . وهكذا فعلت على رغم الحاح أهلها وجميع أهل البلاط . وماتت فى دير جيرولستين شبعانة من متاعب الحياة وآلام التذكارات . وقد كتبت الرسالة الآتية الى حبيبها عند أوائل دخولها الى ذلك الدير)

ايها الحبيب

أمامي رسالتك الاخيرة ، كلما قرأتها شعرت بشوق اليك وحنين الى مخاطبتك . اراك رازحاً تحت ثقل من اليأس فيزيد بي حزني واتمنى لو اننا لم يرَ بعضنا بعضاً قط ، اذ لولا الحب ما كنتَ حزيناً منكسر القلب .

ولو لم تعرفني ما شُغلتَ بي عن العالم أجمع . فان كان ذنبي اليك انني اذكيت في قلبك جـذوة الحب فاني مستعدة أن اطفئ تلك الجـذوة وأ كفرّ عن ذلك الذنب بأن اضع حدّاً لنبضات قلبي المثقل باعبآء الهموم والاّ فاماذا انت حزين يا هنري ؟ ولماذا يجعلك حبي شقياً عوضاً عن ان يمتعك بالسعادة والحبور ؟ هل يسوءك انني دخلت الدير وانت تعلم لاجل من دخلتهُ ؟ أليس ذلك أسطع برهان على انحبي لك صحيح ثابت ليس له بداءة ولا نهاية ؟ فان كنت تحبني كما أحبك فلا تكتب اليَّ بلهجة اليائس ، بل كن فرحاً مسروراً لانني أحب ان اراك كذلك ايها الحبيب وينقبض صدري كلما تمثلتك حزيناً مثقلاً بالهموم

دخلت الدير يا هنري لاتي اجد فيهِ راحةً وسلاماً واستطيع ان اخلو بنفسي فاناجيك ولو عن بعد ، واضيف الى عهودي السابقة عهداً جديداً لا تفصم عراه حتى تنطوي صفحة الخلود . فاذا لم يُقدَّر لي أن أراك في هذه الحياة ، فان موعدنا الضفة الأخرى من نهر الأبدية ، حيث نحلّق كلانا في ذلك الفضاء الرحيب متنقلين بين الكواكب ، كما تتنقل الفراشة بين الحقول

لماذا تلومني على دخولي الدير يا هنري ؟ أليس الدير اول محطة على الطريق الى السماء حيث نجتمع كلانا بعد أن نخلع هذا الثوب الهيولي ؟ فلماذا يسوءك هذا الأمر وانت عالم بما ينطوي عليه من راحة وعزاء ؟

هي ايام تنقضي يا هنري. فإما أن يشفيك الزمان من غرام الشباب، او ان يزيدنا الفراق ثباتاً في الحب. وسواء قدّر لنا اللقاء في هذه الحياة ،

او لم يقدّر ، فانني مقيمة على عهودي لك لا اميل عنك قيد شعرة ولا انساك طرفة عين

. . . إكفني عذاب الذاكرة يا هنري . ان السرور الذي تجده في تذكرك ايامنا السالفة ينقلب عندي الى آلام مبرّحة ، فاخلو بنفسي وعيناي مغرورقتان بالدموع اذ تتمثل لي ايامنا السعيدة ونحن لاهيان عن كل شيء ما سوى الحب

سقياً لمواقف العهد القديم ! ليتني استطيع أن انساها ، لأنني كلما تذكرتها تقوم في نفسي ثورة عواطف تضيع بين الشجن والسرور . فلقد كانت تلك الايام اشبه بحلم هنيء أعقبته يقظة محزنة . لذلك أُحاول أن اتناساها فلا استطيع ، لأن رسمك لا يبرح من فكري وصوتك الرخيم يرنّ دائماً في اذنيّ . حقاً انني مدينة لك بايامي السعيدة يا هنري . ولو كنت الآن واقفاً امامي ، لألقيتُ بنفسي بين ذراعيك واسمعتك خفوق هذا الفؤاد الذي تنطق كل نبضةٍ من نبضاته بما يكنه لك من الحب الخالد

ربما تحزنك رسالتي هـذه يا هنري . ولـكن فؤادي مفعم بهموم تضيع معها الابتسامة التي كنت تعهـدها في شفتيّ . كيفما التفتّ أرى مظاهر الطبيعة تذكرني بك ، لأن حبي لك يمثلك حاضراً في كل مكان وزمان . وهذا دليل آخر على أن حبنا الطاهر يزيد كلما طال بنا الفراق ، ولا تؤثر فيهِ الايام . ولقـد كنت أستكثر على البشر روميو وجولييت ، وأتصور حبهما من أساطير الاولين الى ان أحببتك ، فعلمت ان في العالم

روميو آخر وجولييت أخرى ، وان الحب قد يبلغ من النفس الى درجة يحملها على ارتكاب كل جريمة ، وجرائم المحبين حسنات عند الملائكة !

ان الراهبات هنا يسمينني الزنبقة ، لأن كل فتاة تعطى عند دخولها هذا الدير اسماً جديداً للدلالة على انقطاعها عن العالم وابتدائها بحياة جديدة . فهل يعجبك اسمي الجديد يا هنري ؟ وهل أنت واثق انه سواء تغير اسمي ، او بقي كما هو ، فان حبي لك ثابت لا يتغير

في هذا الدير « زنابق » كثيرة مثلي داميات القلوب . لعلهنَّ يجدنَ في الانقطاع عن العالم بلسماً يشفي جروحهنَّ التي لا تقبل الاندمال . اما أنا فلم أجد بعد هذا البلسم . والصلاة الوحيدة التي اركع كل يوم لارفعها الى الله هي ان تعيش سعيداً في هذه الحياة

لو خيّرتُ ان أجلس على العرش طول العمر او اكون زوجتك يوماً واحداً ثم أموت لنبذت العرش ولم أحفل بهِ ، لان سعادة يوم واحد معك أفضل عندي من أبهة الملك . ولو كان في كرهك اياي سعادة لك لكنت أنا ايضاً أتمتع بذلك الكره لان سروري لا يتم الا بسرورك ايها الحبيب

الى الملتقى يا هنري . بودي لو ينفسح لي ان اطيل حديثي معك ولكن . . . **اميليا**

(بقلم سليم عبد الاحد)

الشعر (١)

(٢)

﴿ الوجه اللفظي والوجه المعنوي ﴾

ان حقيقة الشعر لا تتوقف على الوجه اللفظي الذي مراده الوزن . فان للوجه المعنوي فعلاً كبيراً في ماهية الشعر لا بل هو الروح ، وقد قال ارسطو وهو اول مَن كتب في فلسفة الشعر : ان حقيقة الاشياء هي التي تميز القول الشعري عن ماهية غيره وتجعل الشاعر شاعراً وليس هيئة الشعر

وانت اذا قرأت تليماك او تصفحت الشهداء (Les Martyrs) يخيَّل اليك تارة انك تسرح في رياض زاهية زاهرة ، وتمرح في مروج باهية باهرة ، وطوراً تنظر قصوراً شاهقة ، وتشعر كأنك على ظهر سفنٍ تنساب بك في الدأماء ، واحياناً تحلق فوق ذيل الهواء ، وتشاهد السحب الزهراء مبعثرةً في بساط الزرقاء ، وغير ذلك بحيث تثور في باطنك لواعج الاشجان في مآزق الكروب وامام اوصاف الحزن . او تجيش بك

---

(١) رأينا في مقالنا السابق ان الاقاويل الشعرية هي الوزن فاللحن فالاقاويل المخيلة اي غير الموزونة . ويلاحظ ان هذه الثلاثة لا تجتمع بحكم الضرورة في أشعار العرب التي ركناها الوزن والمحاكاة المخيلة . (راجع تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الشعر لابن رشد) ثم قلنا ان اللحن داخل تحت حكم الوزن وهو غير ذلك في أشعار العرب

بواعث الاعجاب والاستحسان تجاه مناظر الكون ، بيد انك في كل ذلك تكون منيطاً طرفك بصفحات الكتاب

وكأني بك تقول واذا كان ذلك كذلك فما بقي وراء الشعور وماذا يفيد اذن الوجه المعنوي في الشعر؟ قلت ان ارباب هذه الصناعة أجمعوا على ان هذه المحاكاة المخيلة لا تعدّ شعراً باي وجه من الوجوه وليس في هذا القول اثنان . فللقريض في الاقاويل الشعرية مزية كبرى . فهو أحق بان تفرغ فيه المعاني الشعرية السامية والعواطف الرقيقة . واذا تتبعت ذلك استقراءً تدركه من تلقاء نفسك ، فانك اذا اطلقت للقلم العنان في مجال وصف ، وارسلت فيه الكلام ارسالاً يأتي عليك وقت تتقد فيه العواطف اتقاداً وتمتلئ النفس حماساً ، وتشعر بضيق نطاق العبارة المرسلة فتهجم عفواً على العبارة المتوازنة المسجّعة وهي ضرب من الشعر

ثم ان القريض من شأنه أن يحرّك اوتار النفس ويبث فيها ثورةً وانفعالاً بمعنى انه يولّد فيها العواطف وينمي فيها روح الجمام والنشاط ويرغّبها ويطربها ولقد صدق مَن قال : ان الشعر أشبه بزمام مجمّل يمتلك من النفس ويديرها كيفما شاء

ومما لا ريب فيه ان للقريض نصيباً وافراً في اللذة التي تخالج افئدتنا والسهولة التي تخدّر اعصابنا عند تلاوة الشعر او سماعه . فلولاه لتعذّر على أيٍّ كان أن يأتي على آخر قصيدة مؤلفة من مئة او من مئتي بيت فاكثر نظراً لذبول زهرة العواطف واخماد انفعالات النفس الحماسية التي يستحيل أن تظلّ مضطرمة . كذلك ان المعاني اذا طالت متتابعة لابدَّ

أن تهي وتتخللها ركاكة ولكن القريض يوجد اللذة مستمرة رغماً عن طول القصيدة وما ينتج من الملل والسأم

غير ذلك فالقريض كسمير للشاعر او هو كعروس الشعر. يرزقه الهاماً ويفتح عليه مغلق الكلام ويفجّر له عيون المعاني. ولقد يقرّ بذلك كل من اعتاد ركوب بحر الشعر. وعلى ما يحكى ان المتنبي كان دأبه اذا عمد الى الصناعة أن يتغنى ويصنع، حتى اذا ما توقف رجع الى الانشاد من اول القصيدة الى حيثما توقف، وبذلك يأتي عليها بكرةً. وعلى هذا المذهب حذاق الشعراء لما فيه من قرب المدرك

هذا هو فعل الوزن في الأقاويل الشعرية

ثم ان هناك فرقاً آخر يبعد القولين — الشعر والنثر — بعد الخافقين. فان للشعر خواصاً وأساليب انفرد بها ولا تصلح ان تكون لغيره، وهي كثيرة يضيق نطاق هذه العجالة عن حصرها

فمن ذلك ان الشاعر كثيراً ما يكتفي بالحذف والزيادة ويشير الى معانٍ بطريق التلميح والايجاز

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمسِ

فهاتان الصورتان — طلوع الشمس وغروبها — تؤديان حسناً المعنى الذي أشارت اليهِ الخنساء. فطلوع الشمس كناية عن جمال أخيها ويحتمل ان الغروب يذكرها انزواءه. وقيل ان المشهد الاول كناية عن الغارة والغروب عن الضيفان

وهذا ومثاله يدخل في صناعة الشعر. ثم ان الشاعر يكثر من تقديم

القيود على المقيدات والصفات على الموصوفات واعادة الضمير الى ما يريد تجاهله او التعريض به . ويسهل على الشاعر ايضاً ان يفصم عرى الروابط اللغوية والوصل والمتعلقات بقدر ما تسوّغ له الجوازات الشعرية وليس في النثر شيء من ذلك فانه اذا نُحي فيـهِ منحى الشعر ساق ذلك الى الالتباس والاستغراق

ومعلوم ان المعنى في الشعر أقرب الى الفهم مما في النثر . خذ مثلاً مرثية المتنبي في أم سيف الدولة واقرأ الصدر من كل بيت فتدرك عفواً المعنى الذي تضمنهُ العجز

ناهيك ان الشعر كلِفٌ بالتشابيه الرائعة والمجازات البديعة والكنايات المستملحة والمبالغات الظريفة ، فاذا نما فيها وانمى أطرب الالبـاب وبلغ مبلغاً عظيماً من الالذاذ والاعجاب بخلاف النثر فانه اذا تعددت فيهِ الصوَر المخيلة والتشبيهات والمجازات ظهرت به الكلفة واستولى على القارىء سأم أو مجه الذوق كارهاً . ولئلا يقال اننا نرسل الكلام أعتباطاً ، دونك قطعة من مقامتي الغربة والغربية للامام شهاب الدين الخفاجي :

« لما هزتني أريحية الشباب ، الى اقتعاد سنام الارض على غارب الاغتراب ، وقد أجدبت الارض من كل ماجد ، يجتني جنى المجد ويجني له ثمار المحامد ، وتعطلت من كريم تلتفّ عليهِ المحافل ، وتسير في ظلال أعلامه الجحافل . . . اقسمت بيبت سالت ببطحائهِ أعناق المطايا ، وثمل ركبانه بكأس السرى في الغدايا والعشايا . » آه . . .

في ذلك كـفاية ليشعر ذو الذوق السليم بيدء سآمة ، مع ان لهذا

الكلام منزلة علياء من البلاغة، فالمعاني سامية، والانشاء من النمط العالي، والتخييل في منتهى الكمال انما ليس هـذا اللباس كساءه فكان أولى بامثال هذه الاقوال ان تفرغ في مهيع القريض وتنسج على منواله

حلمي المصري

في رياض الشعر

﴿ الى سابا باشا ﴾

كتب سعادة اسماعيل صبري باشا وكيل نظارة الحقانية السابق الى سعادة السر يوسف سابا باشا ناظر المالية يعزّيه على فقد نجله فريد وقد قصف الموت غصنه الرطب في خلال الشهر الفائت :

سابا اتقِ الله وخلّ الأسى ... لجـاهلٍ يُعذرُ في جهلهِ
لا تكترث بالرزءِ وانهض بهِ ... فالرأي كلُّ الرأي في حملهِ
مثلك مَن يلجأ إن راعهُ ... يومٌ بمكروهٍ الى عقلهِ
قضى «فريد» وهو غضّ الصبى ... وخلّف الحسرةَ في أهلهِ
وقابلتهُ في الجنانِ العُلى ... ملائكٌ للهِ في شكلهِ
واهاً له من غصُنٍ ما نما ... حتى ذوى واجتُثَّ من أصلهِ
سابا أبكِ لكن كالحكيم الذي ... يخافُ أن يُطعنَ في نُبلهِ
واصبر فكم من جزعٍ آكلٍ ... من صحة المرءِ ومن فضلهِ
فالليثُ لا تنسيه أحزانهُ ... مقامَهُ ان ضيمَ في شبلهِ

اسماعيل صبري

﴿ قطرة دم ﴾

لقي خليل افندي مطران منذ ايامٍ سيدةً في اصبعها خاتم فصُّهُ من الياقوت فقال لصاحبٍ كان معه :

حذارِ لقلبك من لحظها　　　فما فيهِ من رحمةٍ للمحبِّ
ألم ترَ في يدها خاتماً　　　بهِ قطرةُ الدمِ في شكل قلبِ؟

خليل مطران

﴿ عطفاً على الفقراء ﴾

ابني القصور بني الاطالس والغنى　　　عطفاً على فقراء هذي الدارِ
هم في الكهوف على الحضيض وانتم　　　بين الرياض وباذخ الاسوار
هم للانين على الشقاء وانتم　　　لرنين حلي او رنين سوار
هم يشربون من الدموع وانتم　　　بين الكؤوس ورنة الاوتار
هم ينزعون الى الرغيف وانتم　　　تتناولون الخبز بالقنطار
هم بين اشواك الحياة وانتم　　　فوق الصدور منابت الازهار
انتم باثواب الحرير وهم كما　　　ولدوا وان سعدوا ففي اطمار
هم في الجحيم وانتم في جنة　　　انتم على بردى وهم في النار
فتفقدوا يا قوم اخواناً لكم　　　هؤلاء ايضاً من صنيع الباري

شبلي ملاط

﴿ أنا والبدر ﴾

انا كالبدر عاشقٌ وكلانا　　　ساهر الجفن خاشعُ الطرف صابرْ
نقتل الليلَ صامتينِ لئلا　　　يعلمَ الليلُ ما تجنُّ الضمائرْ

ونذيبُ الأنفاسَ في الصدر كيلا تكشف السرَّ نار تلك المجامرْ
يا سميري في وحدتي لا تدعني في سكون الظلام وحدي حائرْ
وحشةُ الليل والفؤاد فهل لي يا شريكَ الأسى سواكَ مسامرْ
تتجلى يا بدرُ فيك معان من حبيبي اذ كان مثلك زاهرْ
قد تشابهتما جمالاً ولطفاً وكمالاً في الخلق للبّ ساحرْ
وتخالفتما مقاماً ووقعاً انت في العين وهو في القلب حاضرْ

وليم غرزوزي

﴿ النحو في الشعر ﴾

سألتني عن « التنازع » يوماً غادةٌ بالجمال تسبي وتصبي
قلتُ إن كان للتنازع معنى فهو ما بين ناظريكِ وقلبي

امين ناصر الدين

﴿ خلقتَ جميلاً ﴾

خلقتَ جميلاً ولم تعطفِ وفيك الحنان ولم ترأفِ
وتقتلني سهام اللحاظِ وتوهم انك لم تعرفِ
فان كان طبعك هذا الدلال فالله للمغرم المدنفِ
وان كان ذنبي لديك الهوى فعذريَ في حسنك اليوسفي
قوامك يوصف بالاعتدال فما بال قلبك لم ينصفِ
ولي من عيوني عيون تسيل ولكنَّ ناريَ لا تنطفي
فلا تحسب الدمع لي عادة فدمعي لغيرك لم يذرفِ

ابرهيم العرب

﴿ عهد الطفولة ﴾

طوتْ عهود الصبى يدُ القصَرِ   وشوبت صفوهنَّ بالكدرِ
طفولتي أين انتِ من زمن   واين ليلُ الغرام من سمر
طفولتي ردَّكِ الزمان وكم   اعطى وردَّ الزمان من اثر
طفولتي هل اذا ذكرتك بالدمـ   ـع تفيد الدموع في الذكر
يرحم الله منك ماضيـة   من الليـالي مضت مع السير
زمان كانت (فلانةُ) معنا   درّة تجتلى من الدرر
زمان كان الهوى لعهدكِ بي   رضيع ثدى الآصـال والبكر
نامياً مثلنـا ومفتقداً   منتظر الظل مرتجى الثمر
وارداً صـادراً هناك ولم   نعلم بذاك الورود والصدر
ونحن قلبان خافقان على الأر   ض خفوق الحيـا على الشجر
وحولنـا صبية مجمعّة   كأنهم باقة من الزهر

* * *

أين نداء البنـات (يا ولدٌ)   يمزجنَ جد المقال بالهذر
وهنَّ مثل القطا اذا انتثرت   يلقطنَ حب القلوب في السحر
تمشي التي لا آسمهـا بمنكشف   عندي ولا حبهـا بمستتر
مشي غزال النقا اذا طُرحت   عليه احدى حبائل النظر
خضباء من دمعها على زمن   كنا بهِ درتين في نهر
تـكاد في العين من ملاحتهـا   تنزل فـي العين منزل الحور
لو أنزل الله في امرئٍ غزلا   أنزل فيهـا جوامع السُّوَر
فقل لمن ينكرون قدرته   لتلك احـدى عجائب القدَر

وقل لمن يعبدونها سفهاً لهذه صورة من الصور
وقل لمن يدَّعى الغرام بهم خذ بجميع الغرام او فذر
وقل لمن يعذل المحب أفق لهَـذه عـبرةٌ لمعتبر

***

آهِ من الحب لا رماكَ بهِ الا ه فان المحب في سقر
فاختبر امره على حـذر منه فليس العيان كالخبر
يا ويلتاه عليكِ يا كبدي من حاكم جائر ومقتدر
لقد جهلنـا الغرام في الصغر وهل عرفنا الغرام في الكبر
أخاطرٌ في الرؤوس منبعث شعاعه في النفوس بالشرر
وهاجس جاعل مطـاوعه بين الورى سخرة من السخر
وحاجة كل أمرها عجب منوطة بالبكاء والسهر
طلاسم تلك لست اعرف مَن يحلهـا غيرُ فاطر البشر

عبد الحليم المصرى

﴿ البنفسجة ﴾

لما ارادت ربة الازهار أن تأتي الطبيعة بالأرق الألطفِ
خلقت بنفسجة الحقول واصبحت مفتونة بجمالهـا المستظرف
حتى اذا غارت على حسناتهـا وغدت تود بأنهـا لم تقطف
قالت لها ماذا ازيدك يا ابنتي حتى تصيري آية اللطف الخفي
قالت اذا شئتِ المزيد فغطّني يا أمِّ بالاوراق حتى اختفي

طانيوس عبده

سادوم وعامورة

ايه أهل سادوم وعامورة ، استروا وجوهكم عن مرأى ضياء الآلهة وضعوا أصابعكم في اذنيكم لئلا تسمعوا توبيخ الرب ، بلغ سيل آثامكم الرُّبى ، فها وجه السماء يكفهرّ . فعن قريب ستمطركم ناراً وكبريتاً ، وتحوّل قصوركم الشامخة التي تنبعث منها روائح الفساد والخطيئة الى مستنقعات آسنة ، وبحيرات مالحة

قصة تاريخية قرأناها منذ نعومة أظفارنا ثم تركناها في احدى زوايا ذاكرتنا غير عالمين ان ما يسطره المؤرخون عن حوادث الاقدمين انما هو عبرة للمتأخرين

من هم أهل سادوم وعامورة ؟

هم ابناء هذا الجيل ، ومعاصرو القرن العشرين الذي نصفه بالمدنية تمويهاً وتفاخراً . فلا تغرنك الاختراعات والاكتشافات ، وما أتيناه من باهر الحكمة في سن النظامات ، وضبط قواعد اللغات ، وبقر بطن الارض وانتزاع أحشائها ، واختراق كبد السماء بمراكبنا الهوائية الى غير ذلك من مستنبطات هذا العصر . فما هذه الا زخارف نزين بها جدران تلك القبور المكلسة كي تلهي الناظر وتشغل الخاطر . . . فنحن نحن المتمدنين الذين امتلكوا ناصية الهواء والماء وكادت الطبيعة باسرها تكون رهن أمرهم نحن أهل سادوم وعامورة . ولا يخدعنك من « باريس » لطافتها ورقتها ، ولا من « لندن » فخامتها وعظمتها ، ففيهما

تمثل اليوم فظائع تينك المدينتين بالامس . . . يخون الصديق صديقه . ويتعمد الأخ قتل أخيه . ويشاحن الزوج زوجته . ويعق الابناء آباءهم ، فلا حب ولا مقة ، ولا عهد ولا ثقة . أسرت الشهوات القلوب ، وغلت الاهواء الافئدة باصفادٍ فولاذية فاختفت الرحمة وأسلم الحنان الروح . بهر البواصر بهاء الفضة ، وخلب القلوب لمعان الذهب . فخرّ الناس ساجدين وأوقدوا شموع عواطفهم على مذبح الجشع الاشعبي . فما بالكم يا اهل سادوم وعامورة مسترسلين في الغرور ، ومنغمسين في الشرور ، كأن لا ضجعة في القبور ، ولا حشر ولا نشور ، أنسيتم باريكم أم تناسيتموه فدستم وصاياه المقدسة ، أين وجدانكم يناقشكم الحساب وينخسكم بمهماز تأنيبه ؟ أرا كم به لا تشعرون . ولكن صوت الضمير رنّ في أعماق صدوركم فترتعد النفس جزعاً وتضطرب هلعاً ، فهنالك الجحيم وهنالك جهنم منكم وفيكم

تعالَ معي ايها القارئ نمتطِ منطاد التصور ، ونمرّ على بني البشر لنشاهد بعض أعمالهم . . . أترى ذلك الانسان الذي يشبه قول عنتر :

بنواظر زرق ووجه اسودٍ وأظافرٍ يشبهنَ حدّ المنجلِ

ماسكاً بعنق رجل آخر وهو يقوده الى دار القضاء ليفي الفلس الاخير ، انظر هناك شخصين في مقتبل العمر متشابهي الملامح وأظنهما شقيقين . ولكن تفرس في يد الاكبر مدية يتعمد بها طعن أخيه . هناك رجلان يتخاصمان على بعض دريهمات لم يتفقا عليها ، وهنا كهلٌ جالس مع بغيٍ ينظر اليها نظرة الظفر بعد ان قتل مزاحمه المضرج أمامه بدمائه.

هيا الى تلك البقعة السوداء ترَ جماعة كالابالسة شكلاً يتآمرون على السرقة والفتك . هناك في تلك البناية الباسقة المتلألئة بالانوار جماعة من الشبان يتناولون باقداح بلورية سائلاً يقتل الشعور ، ويميت الفضيلة . هذا ربح مال رفيقه حراماً بالميسر ، وهذا خسر ما تملكه يده فانتحر . وهناك وراء البحار دخان متصاعد في الفضاء ورعود قاصفة وبروق لامعة وأشلاء متطايرة هناك نار الحرب شبها الطمع فذهبت بالارواح والاموال ولم تبقِ ولم تذر . . .

يا أهل سادوم وعامورة ! ان السماء أزمعت ان تصب عليكم جام غضبها ، فاقلعوا عن هذا الغرور فليس من ابراهيم يشفع بكم الى الله . . أو هل بينكم عشرة أبرار تتذرعون بهم لديهِ فتنجوا من عذاب أليم ؟ أين نجد هؤلاء الصالحين ؟ لا أدري ، فتش معي ايها القارئ ، فقد أعياني البحث والتنقيب ، ولم أظفر بضالتي المنشودة

حمص بدري فركوح

محاكم الاحداث

يقف الانسان لدى هذه المصاعب والاسباب مدهوشاً بائساً لا يدري طريقاً للعمل . لكنَّ صاحب الاقدام والسعي لا يخيب له أمل . فيحسم الداء قبل ان يبتلى بهِ ويدفع الامر قبل وقوعه وذو العدة لا تعييه الحيلة التي يرجو بها المخرج من هذه المصاعب بالوسائط والذرائع التي يتوفق الى ايجادها

وليبان خطورة الامر وحرج الموقف زر السجون على اختلاف طبقاتها ترَ ما لم تكن تتصوره من الشرور والاثام . ترَ الشر متجسداً بأجساد بشرية تعمل على خراب الانسانيـة ودمارها . ترَ رجالاً ونساءً وأولاداً ائمة قتلة اشراراً لا ناموس لهم ولا ضمير يردعهم عن شرورهم ومعاصيهم يصرفون معظم اوقاتهم بالاحاديث القبيحة الفاسدة . تصوراتهم رديئة كأخلاقهم واعمالهم وكلامهم لا تقـدر الاذن على سماعه فماذا يحل بحدث صغير يُزَج بمكان كهذا ؟ أنلومهُ بعد ذلك ونعاقبه العقاب تلو العقاب لاعمالٍ كنا نحن السبب بغرسها في نفسه . ونقول بعد هذا كله ما غرضنا الا اصلاحه وارجاعه الى سبيل الرشاد . أفهكذا يكون الاصلاح وهل يتم تقويم المعوج بطرق كهذه . ان هي الا طرق يشتم منها آثار الهمجية والظلم . آثار الاعصر الماضية المظلمة . فقـد أصبحنا وعصرنا اليوم يختلف تمام الاختلاف عما سبقهُ من العصور الخوالي فما بالنا نستعمل ما كانوا يستعملونهُ في تلك الايام ؟

هل قعد الدهر بالانسان فتقدم في كل أمر وشأن الا في مسئلة القضاء والاحكام اذ ما فتق له عقله استعمال الوسائط والاسباب لتخفيف مصائب الانسانية الصغيرة المظلومة

أجل. فقد كان الناس فيما مضى لا يهتمون للجاني واصلاحه بل كان جلُّ مقصدهم اصلاح ما أضرَّ بهِ وافسده فيصرفون قواهم وأوقاتهم لارجاع مسروق واسترداد مسلوب . اما الآن فصرنا ننظر الى المذنب الجاني نظر الطبيب الى المريض لنرد اليهِ ما فقـده من الحرية الشخصية لاساءته

استعمالها وقصدنا الوحيد اصلاحه وارشاده . هذا اذ كان رجلاً مدركاً كبيراً فكيف اذا كان ولداً عاجزاً صغيراً

ولشرح كيفية معاملة الحدث في « محاكم الاحداث » قد اخذت دليلنا محكمة واحدة من هذه المحاكم وهي محكمة انڤر من ولاية شيكاغو احدى الولايات المتحدة الاميركية وذلك لانها كانت اول ما نشأ من نوعها في تلك الولايات ولان كل ما قرأته وحصلت عليهِ من الكتابات في هذا الموضوع عائد بالفضل الى مؤسسها الفاضل اذ تكرم عليَّ ببعض نسخ من مؤلفاتٍ له وضعها في هذا الموضوع نفسه

ومحكمة انڤر هذه مشهورة في تلك البلاد لشهرة مؤسسها فانه كان منذ اول نشأته ميالاً الى السياسة فصار متشرعاً ثم قاضياً الى ان احرز رئاسة محكمة ولاية شيكاغو وذلك سنة ١٨٩٩ لانه يمتاز بكفاءته وشدة ميله الى الاستقلال الفكري والاداري. وأخيراً اهتم بأمر اصلاح شؤون الاحداث ومحاكمتهم اذ انتبه الى حالتهم الرديئة ومعاملتهم السيئة ، وبعد جهاد عنيف تمكن من انشاء محكمة مختصة بهم للنظر في شؤونهم واحوالهم فاستقال من منصبه العالي واخذ على نفسه ادارتها وتنظيمها الى ان تم له ذلك فنشأ لنجاحها عدد كبير مثلها في اغلب الولايات الاميركية

واليك بيان ما جرياتها باختصار :

يُحضر المتهم الى المحكمة فلا يرى هيئة المحكمة على كراسيها وراء المنابر بل عند دخوله يستقبله القاضي بوجه ضحوك ويجلس بجانبه ويأخذ بمحادثته كأنه ولد مثله الى ان تتمكن بينهما عرى الالفة والمودة . فيثق

الولد به ويعتمدد . فيفهمهُ القاضي ان هذه المحكمة ليست كغيرها من نوعها تهويلاً وتعذيباً فجلّ مرادها مساعدته لاصلاح نفسه بنفسه ، ومتى وثق الولد بالقاضي ائتمنهُ وأطلعه على كل ما يريد الاطلاع عليه فيشرع بتشجيعه وانهاض غيرته فيستفز حميته بالكلام المؤثر اللطيف . يلقي عليهِ النصائح المتعددة ويخبره جلياً بالاضرار الناتجة عن قبح اعماله وسوء تصرفه وكم يعاني غيره من جراء أعمال يحسبها هو طفيفة لا تأثير لها ولا ضرر . فيشرح له واجباته نحو نفسه اولاً ثم واجباته نحو حكومته وبلدته ومحيطه وكيف انه بسلوكه وتصرفه يقدر هو نفسه ان يؤثر في محيطه فبلدته فحكومته بكونه عضواً حياً عاملاً على نجاحها ورقيها . ثم يريه تدريجاً وجوب اطاعة الاوامر والنظامات ويبين له كيفية التصرف والسلوك الحسن وبالاجمال فان القاضي بكلامه وافعاله وأمثاله ينفث فيهِ روحاً جديدة كانت كامنة فيهِ فتهيج معها عواطفه فيرى قبح أعماله السابقة وأفعاله الماضية فيندم على ذلك أشدّ الندم ويشعر من جهة اخرى بواجباته ومسؤوليته ويعلم ان مقابل هذه المسؤولية والواجبات حقوقاً كان قد خسرها باهماله تلك . فيعد القاضي وعداً صادقاً مخلصاً بتغيير سلوكه ومنهاج حياته . فيطلق القاضي سراحه بعد ان يثق بكلامه تمام الوثوق . فيخرج الولد شاعراً بروح شريفة تجددت فيهِ ونفس نشيطة تحثهُ على اتمام واجبات طالما اهملها سابقاً

هذا هو سر المحكمة وقوامها الوحيد فانهُ لا شيءَ يؤثر في نفس الولد ككلام اللطف المنبعث من صدر شفوق ونفس حساسة تود خيره

ونجاحه ومتى شعر الولد بذنبه وأقرّ بهِ هانت طريقة اصلاحه وارجاعه عن ضلاله

ولكن كثيرين لا يتمكنون من تغيير سلوكهم لاول مرة وما ذلك الا لشدة تأثير المحيط عليهم او لتمكن عاداتهم واخلاقهم منهم فيصعب نزعها حالاً. فتنقلهم المحكمة الى محيط يشجعون به على عمل الحسن والمعروف فينسون أعمالهم السابقة ولا يرجعون اليها

وان عاد أحدهم الى سابق اعماله يعيد عليهِ القاضي الكرة فيسمعهُ النصائح والمواعظ ويورده طريق السير والعمل ثانية فيتغير بمداومة النصح والارشاد وقد يحدث له ما يميله عنها فلا تؤثر فيهِ . فترسله اذ ذاك المحكمة الى احدى مدارس الحكومة الصناعية التي لها علاقة بها فيدرَّب هناك على نظامات وتعاليم تؤديه طريق الصواب والصراط المستقيم

هذا وقد يبقى الواحد مع كل هذه الوسائط ميالاً الى الشر لا يحيد عنهُ فيعسر طريق اصلاحه وهذا نادر شاذ ولا يقاس على الشواذ

نوفل جريديني

قال ابن المقفع :

ليس من خلةٍ هي للغني مدح الاّ هي للفقير عيب : فان كان شجاعاً ، سمي أهوج ؛ وان كان جوّاداً ، سمي مفسداً ، وان كان حليماً ، سمي ضعيفاً ؛ وان كان وقوراً ، سمي بليداً ، وان كان لسناً ، سمي مهذاراً ؛ وان كان صموتاً ، سمي عيياً

ثمرات المطابع

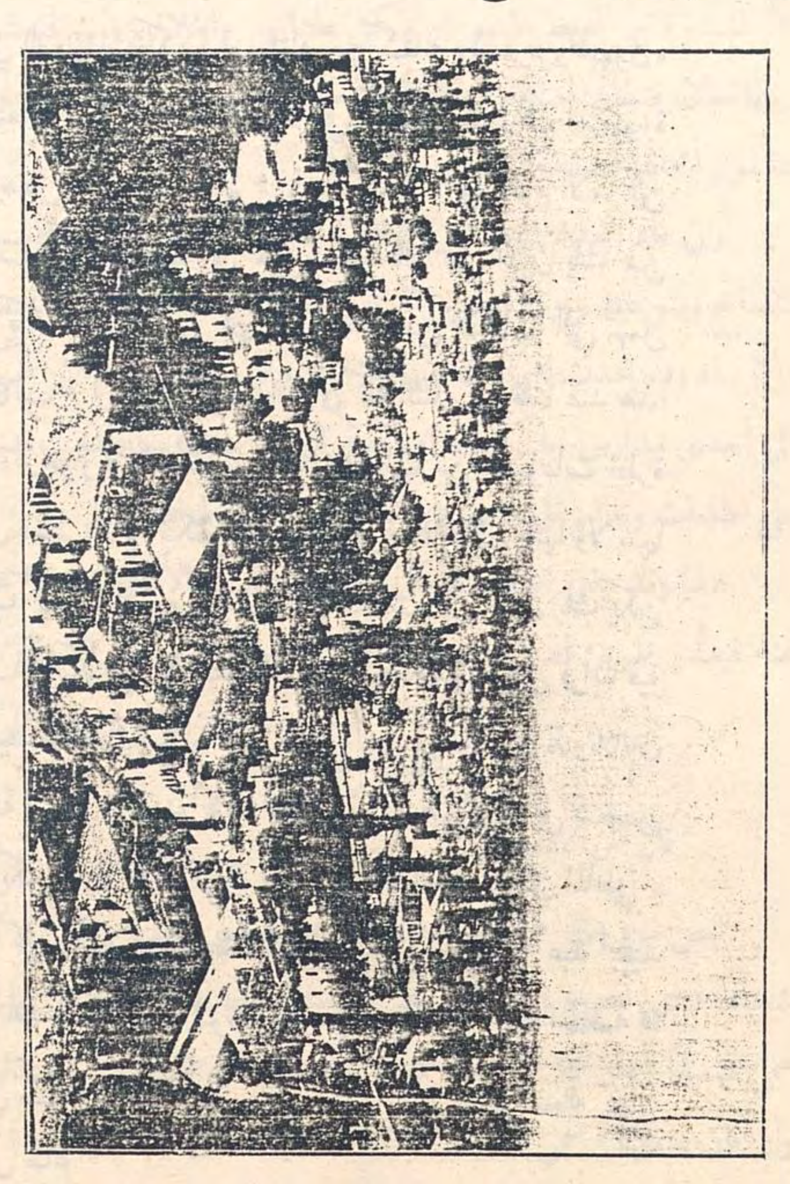
المعلوم والمجهول (١)

أصدر ولي الدين بك يكن الجزء الثاني من كتابه « المعلوم والمجهول » في نحو ١٦٠ صفحة مطبوعة طبعاً جميلاً في مطبعة المعارف المشهورة ومزينة بصوَر بعض الذين ورد ذكرهم في الكتاب ، وبرسوم الاماكن التي عرفها المؤلف ابّان وجوده في المنفى . ولو كان ولي الدين بك من الادباء الذين لا يكترث لهم ، او لو كان كتابه هذا من الكتب التي تهمل في زاويات المكاتب ، لزدنا على ما قلناه الآن كلمة الثناء ثم وقفنا عند هذا الحد . ولكن « الزهور » لا تنظر الى ما يهدى اليها من المطبوعات نظرة التقريظ المبتذل فقط ، ولا تكتفي بذكرها لمجرَّد الاعلان عنها ولا سيما متى كان الكتاب كتاب المعلوم والمجهول ، والكاتب ولي الدين بك يكن

طالعنا هـذا الكتاب بما يستحقهُ من الامعان والتدقيق فرأينا فيهِ انموذجاً من السياسة العثمانية تجاه الافراد العثمانيين في خلال ثلاثة وثلاثين عاماً من سلطنة السلطان عبد الحميد الثاني . بل هو تاريخ في شخص ولي الدين بك يكن لحياة الاحرار الذين اضطهدهم العهد العثماني الماضي . وفي رأينا لو ان كل واحد من اولئك الذين تمكن منهم عبد الحميد وحكومته ، قرأ هذا الكتاب ، لتوسم انه يقرأ فيهِ تاريخ حياته الخاصة فما

(١) طبع في مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بأول شارع الفجاله بمصر وثمنه عشرة قروش صاغ

يختلف عليهِ سوى الاسماء والتواريخ . اما الوقائع والظروف فمتشابهة متماثلة ، واما الفظائع والمظالم فهي هي . فاذا كان ولي الدين قد كتب في « المعلوم والمجهول » تاريخ اضطهاده ونفيه فانما وصف في شخصه شقاء



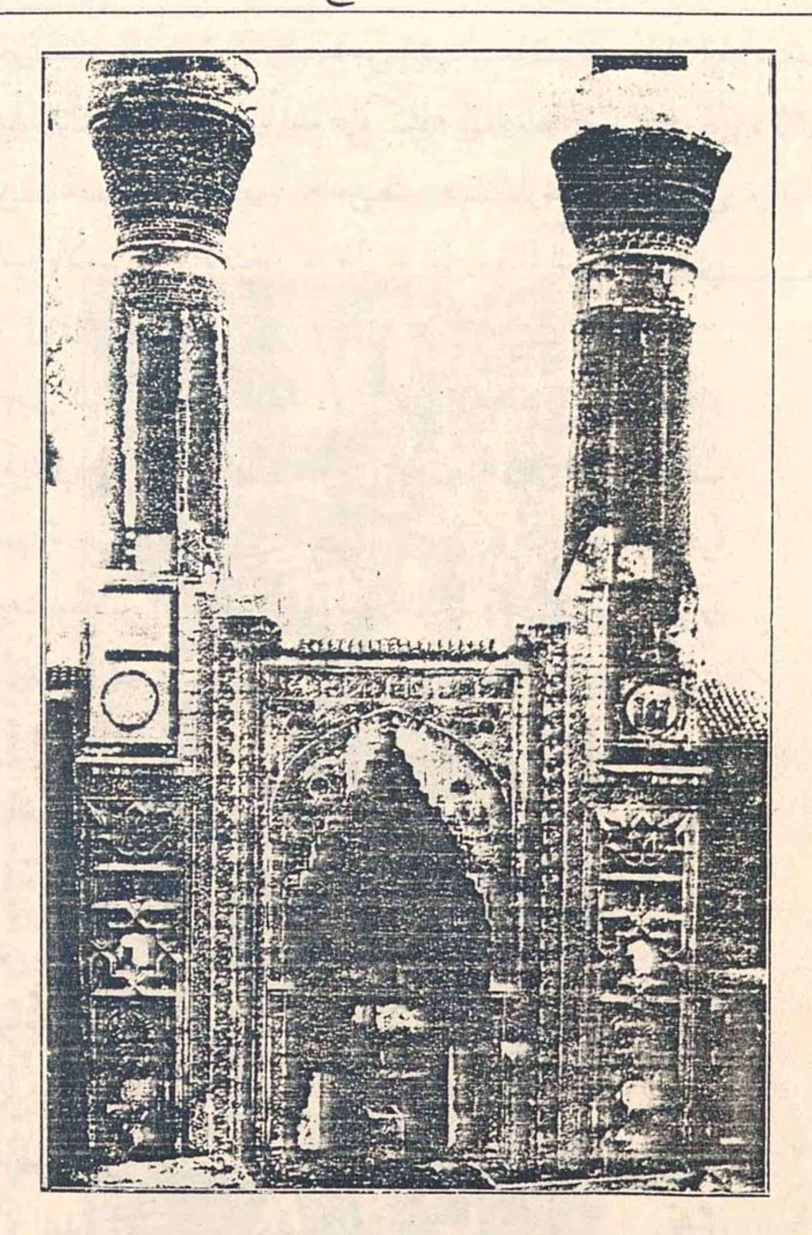
جانب من مدينة « سيواس » التي أقام صاحب « المعلوم والمجهول » منفياً فيها سبع سنوات

اخوانه الذين ابتلوا بمثل بلواه ، وقاسوا من الشدائد ما قاساه . ولولا انه قد رأى هذا الرأي من قبل ما أقدم على كتابة المعلوم والمجهول فان في أخلاقه من الدعة والتواضع ما يربأ بهِ عن نشر هذا التاريخ لمجرد التباهي اليوم بما لقيه بالأمس ، والافتخار بما نزل بهِ من مظالم العهد الحميدي ولعله أشار الى ذلك حيث قال :

«لا ابالي الثناء ولا ابالي الهجاء ، وانما ابالي ان يصدق فيَّ أحدهما»

الجزء الثاني من المعلوم والمجهول ، كالجزء الاول منهُ وكلاهما «كالصحائف السود» صورة مجسمة لنفس ولي الدين . انني لا أعرف كاتباً او شاعراً عربياً في يومنا الحاضر أقدر من صاحب المعلوم والمجهول على تصوير العواطف وتمثيل الشعور . اقرأ له أية قصيدة شئت وأي مقال أردت فانك تحسّ ان نفسه تسيل مع ألفاظهِ وقلبه يتمشى بين كلماته وسطوره . هذه الجمل القصيرة المقطعة التي لا تربطها الواوات والفاآت ، ولا تتخللها «عنجهية» «بعض الكتاب» وتقعره وتصنعه في الانشاء ، وتثاؤبه في كل جملة من جمله حتى ليتثاءب معها القارئ وتجيش لها النفس ، هذه الجمل المنتقاة ألفاظها ، والسليم تركيبها ، تؤثر في النفوس تأثير السلافة في الرؤوس

ولقد يقول قائل ان وليّ الدين في شعره أسمى منهُ في نثره ، فاردّه حينئذٍ الى «المعلوم والمجهول» فأريه ذلك الشاعر الرقيق الحساس ، ناثراً ملء قلمه الفصاحة والبيان ، وملء تعابيره البلاغة والايجاز السليم ، وملء وصفه للاشياء وللحوادث سلامة الذوق ، ونزاهة الفنّ حتى لكأنه يكتب



« كوك مدرسة » وهي من الآثار القديمة في سيواس ، ومنقوش على مدخلها (عُمّر في ايام دولة السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن قليج ارسلان خلّد الله دولته) وذلك في سنة ٦٧٠ هـ

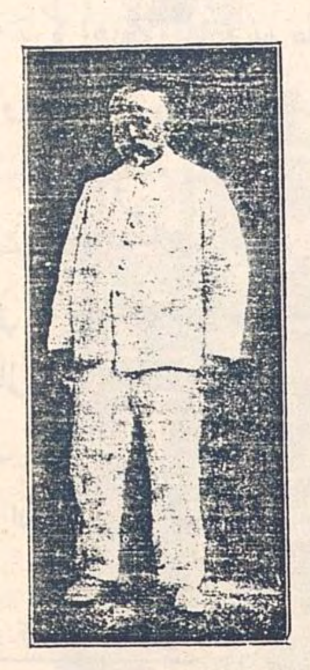
بريشة « رافائيل » فيصوّر العواطف تصويراً ، ويرسم المعاني رسماً ، وما الكاتب القدير الا من استرق اليهِ النفوس ، وملك قيادها فتلاعب بها ما شاء وما شاء له التفنن والابداع ، فصيَّر قارئه أسيره وطوع ارادته يضحك لضحكه ، ويغضب لغضبه . كذلك رأيت ولي الدين . فهو يرضيك ساعة الرضى ويستبكيك حين يبكي حتى تكاد تامس دموعه لمس اليد ، وتحسُّ بناره تتأجج من خلال ألفاظه وهي تأكلها أكلاً . ولقد وقفت أنظر اليه وأتأمله في وداعه للآستانة يوم أُكره على مغادرتها في الليل أسيراً منفياً ، تاركاً أهله وولده ، غير عالم الى اين مصيره ، وسمعتهُ يتحسر على فروق ويتأوه على البوسفور ، فخلت اني أسمع أنينهُ بأذني ، وأرى شقاءه بعيني ، وألمس جراحه بيدي . ورأيته وهو يكتب نثراً كأنه ينظم شعراً ، بل رأيت في تفجعه الشعر الحقيقي مجرداً عن الوزن ، طليقاً من القافية ، فقلت في نفسي انما هذا ارمياء آخر يبكي على اورشليم جديدة

فالى الادباء كتـاب « المعلوم والمجهول » فهو من خير ما تحتويه المكاتب ، ومن أنفس ما يخلد فيها من نفائس المطبوعات في هذه الايام. وجزى الله كاتبه خير الجزاء وعفا عنه

نعمان خوري قنصل فرنسا

هو اسم رجلٍ عرفه وعرف مآثره الطيبة ابناء الشرق والغرب فقد ولد في بكاسين من اعمال لبنان ودرس اللغات العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية في بيروت فنبغ فيها ولم يلبث ان سافر الى عاصمة الفرنسيس

حيث ساعد في تحرير مجلة سياسية كان يديرها السياسي الكبير مسيو ليون غامبتا فتمكن من اظهار صفاته الممتازة فعينته الحكومة الفرنسوية موظفاً في البلاد التونسية فكان ذلك بداية عهده في السلك السياسي . وظلّ صاعداً في معارج الترقي حتى عُيّن سنة ١٨٩٤ ترجماناً وقنشليارا لقنصلية فرنسا في القاهرة ورقي بعد سنتين الى درجة ڤيس قنصل وبعد ان عهدت اليه حكومته بمهمة خصوصية في بلاد الحبشة سمي قنصلاً في سيواس فعدن فجده فحرر (في الحبشة) فالصويره (مغادور) . وفي سنة ١٩١٠ رأت الحكومة الفرنسوية ان ترقيه الى رتبة قنصل من الدرجة الاولى. وكان في جميع هذه الوظائف التي تقلدها موضوع ثقة حكومته واعجاب رؤسائها . وفي ١٥ اغسطس سنة ١٩١٠ عاجلته المنية في ميدان عمله فراح شهيد الواجب . وقد رأى حضرة المسيو جان ريڤول ان ينشر مآثر هذا الفقيد الكريم فطبع ترجمة حياته المملوءة بالاعمال المجيدة . وكأنه أبى ان يكيل له المدح جزافاً فشفع هذه الترجمة بخطابات التعيين التي كان يتلقاها الفقيد في وظائفه من اساطين السياسة – كفليكس فور وهانوتو ودلكاسه – وبمكاتيب وتلغرافات التعازي التي وردت بعد وفاته . يلي ذلك تأبين رجال السياسة له وخصوصاً تأبين مسيو بيشون وزير خارجية فرنسا الاسبق ، وأقوال



امهات الجرائد الفرنسوية . وكلها تشهد للفقيد بحرية الفكر واصالة الرأي وطيب السريرة والثبات في العمل . طالعنا كل ذلك في كتاب مسيو ريڤول فرأينا كيف يقدر الرجالُ الرجال ، وكيف يكون الناس بالاعمال . فنشكر الكاتب على كتابهِ ونكرّر تعزية آل الفقيد ولا سيما حضرة شقيقه مسيو نجيب خوري الموظف بالحكومة التونسية وابن عمه سليم افندي الخوري الموظف في نظارة الداخلية المصرية . وننشر رسماً للفقيد اخذناه عن مجلة « الالوستراسيون » وهو يمثله بملابس المكتب

ازهار واشواك

بابٌ للرزق

أصبح غلاء المعيشة فاحشاً وصارت أبواب الرزق اضيق من سم الابرة . والناس عاملون جادون لاستنباط حيلة أو لايجاد وسيلة تفتح بوجههم باب الفرج وهم لا يجدون . مرةً واحدة في حياتي أريد ان اكون اقتصادياً لعلّي أصيب بعض النجاح فينجح معي من يقبل على مشترى اسهم مشروعي . ولا تزيدني التفاليس المالية الكثيرة في هذه الايام الاّ إقداماً . واليك هذا المشروع الغريب الذي تنازل لي عن امتيازه احد الامريكان : نهتم بتربية القطط فنجمع منها مليوناً . وكل قطة تلد في السنة ١٢ وجلد القطة البيضاء يساوي ٥ بنسات وجلد السوداء ٣ شلنات يمكننا أن نقدّر ثمناً متوسطاً لكل جلد شلناً و٣ بنسات . وهكذا يتوفر

لدينا في السنة ١٢ مليون جلد يبلغ معدّل الدخل من بيعها الفي جنيه انجليزي في اليوم . هذا من حيث الايراد اما من حيث النفقات فان العامل الذي يتقاضى اجرة يومية ٨ شلنات يقدر ان يسلخ ٥٠ قطة في اليوم . وهذا المشروع يحتاج الى الف عامل فيكون صافي الايراد اليومي بعد دفع أجرة العمال الف جنيه . بقيت مسألة تغذية هذه الحيوانات . وسنحلها بتربية الجرذان قرب القطط . ومن المعروف ان الجرذان تتناسل اربع مرات اكثر من القطط ، فيكون عندنا اربعة جرذان لكل قطة وفي ذلك كفاية . أما الجرذان فنغذّيها من جثث القطط بعد سلخها . وهكذا تأكل الجرذان القطط وتأكل القطط الجرذان ونأكل نحن الجلود — اعني الارباح الناتجة من بيعها — وقدرها الف جنيه في اليوم . فما قول اصحاب الراسمال في هذا المشروع . ؟ هم يضحكون مني ومن مشروعي وأنا اضحك معهم . ولكن قد مرّت ايام على القطر المصري كان يكفي فيها أن تتصور المخيلة مثل هذه الالاعيب المالية لتتسرب الاموال الطائلة الى جيوب مخترعيها . وما العهد ببعيد . وما تفاليس اليوم الاّ معلولات تلك العلل . .

قلبٌ من ذهب

اهدى صديقي « حسون » الذي يعرفه قراء « الزهور » قلباً من ذهب الى احدى السيدات ، وارفق « القلب » بأبيات جميلة اطلعني عليها . هديته الذهبية كانت للسيدة ؛ اما هديته الشعرية فانها لها وللقراء ، وهي :

يا ليت قلبي معدن مثل الذي أهديتـهُ لا يعرف الخفقانا
لصبرتُ فيكِ وأنتِ اظلم ظالم وحملتُ منكِ الهجرَ والسلوانا
لكنَّ قلبي شبهُ أوتارٍ اذا ضُربت شكت نغماتها الاشجانا
أو ما رأيتِ نحولها كنحولنا شبحٌ يؤثره الاثيرُ كلانا
ان تضربي وتر الفؤاد فحاذري بالضرب من ان تقطعي الشريانا
او كان لا يرضيكِ الاّ دامياً ليت الذي ما بيننا ما كانا

ناصر

جرائد جديدة

الجديد — جريدة أصدرها في سان باولو من أعمال البرازيل نجيب أفندي نسيم طراد الكاتب المشهور وفارس أفندي نجم . ان لها من اقتدار صاحبيها الفاضلين ما يكفل لها النجاح

البرهان — جريدة ينشئها في طرابلس الشام حضرة الكاتب المعروف الشيخ عبد القادر المغربي فنتمنى لها الانتشار الذي تستحقهُ

البيرق — جريدة اسبوعية أنشأها في الحدث (لبنان) حضرة نجيب افندي شديد عقل وسعيد أفندي فاضل عقل من أفاضل الأدباء المعروفين في سوريا فنرجو لها النجاح

المراقب — دخلت جريدة المراقب الغراء التي ينشئها في بيروت حضرة الكاتب الفاضل جرجي أفندي عطيه في سنتها الرابعة مطردة خطتها الجميلة

جبل عامل — جريدة اسبوعية يصدرها في صيدا (سوريا) حضرة الكاتب الاملعي احمد افندي عارف الزين صاحب مجلة العرفان الزاهرة فنؤمل لها مزيد الانتشار